حتى أن هوغو الشفتالي قال:

(أنه يليق نبا أن نقلد العرب لأنهم؛ إن جاز القول كانوا أساتذتنا والطليعة في هذا الفن)[1].

قال المستشرق الإيطالي ألدوميليلي، "تحت عنوان حركة النقل العلمي في شبه جزيرة الأندلس" ما نصه:((أما في شبه جزيرة الأندلس فقد كانت حركة نقل العلم العربي إلى العالم النصراني أعمق تغلغلاً وأشد قوة، ودامت مدة أطول عهداً من كل مكانك أخر، كما تحقق هناكَ التطوّر الحاسم الذي كانَ لابدَ أن يعتمد عليهِ تجديد العلم الأوربي))[2].

لقد كانت الأندلس تمثل الطريق الرئيسي الذي تسربت منه العلوم إلى أوربا، لا بالترجمة فحسب، بل بالإحتكاك والتعايش بيت المسلمين والنصارى واليهود مما يسّرَللأوربين الأخذ عن الأندلسيين، والإستفادة من الثقافة العربية المتفاعلة مع غيرها، وهذهِ الثقافة التي كانت من أبرز العناصر التي مهدت لبزوغ عصر النهضة في أوربا [3].

أن لعملية ترجمة التراث العربي الإسلامي والذي تألق ووصل إلى الكمال في الأندلس،بجهود أعلام العلم والمعرفة من العلماء والأطباء المتميزين الذي برزوا عبر التأريخ المشرق في الأندلس الإسلامية، والتي تضافرت عدة عوامل وساهمت في إزدهارهِ من ظهور خلفاء وأمراء تمتعوا بحبهم للعلم والمعرفة والعلماء، مما شجعَ وذللّ ما يعيق النهضة الحضارة العلمية والطبية الأندلسية، وتحت أفياء التسامح الديني، الذي عم جميع أراضي الأندلس، والنابع من نور عقيدة المسلمين الدينية، كان الإبداع العلمي المتميز في شتى أنواع العلوم والفنون وخاصة الطبية الذي تطور وإزدهار في الأندلس، وتركوا تراثاً علماً تميز بالدقة والأصالة والموضوعية، وفي شتى التخصصات الطبية التي أبدعتها أنامل علماء وأطباء الأندلس، ولأهمتها العظيمة بذلت أوربا الجهد والجهيد في ترجمة الكتب العلمية والطبية، والتي نقلت أوربا من ظلمات وجهل القرون الوسطى،إلى فترة عُرفت بالنهضة الأوربية، بعد أن تبنت جميع المفردات الحضارية العلمية في الأندلس بعد ترجمتها إلى لغاتها.

المبحث الأول
الترجمة إلى العربية في الأندلس

ومن أجل الإحاطة بموضوع الترجمة بالأندلس لابد من العروج على جملة عوامل تظافرت في الأندلس فأدت إلى تطوّر الترجمة و إزدهارها والتي أدت إلى تلاقح المعارف وتواصل الثقافات، ويمكن حصرها بالتالي:

عوامل مردها إلى المسلمين، وأخرى مردها إلى النصارى، وعوامل مردها إلى المسلمين والنصارى معاً، تضافرت جميعاً في الأندلس الإسلامية وساعدت في الترجمة المبكرة[4].

أ - العوامل التي مردها إلى المسلمين وهي:

---

(1)Gharles Burhett. " A.Group of Arabic- latin Translators working in Northerr Spain in the Mid-twelfth Contury " Journal of the Royal Aslatic Soclety , (1977), P.90.

(2)ألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ص 453.

(3)ابو عبية، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص986.

(4)الوركلي، حسين، ياقوتة الأندلس، دراسات في التراث الأندلسي، دار الغرب الأسلامي، بيروت، 1994م، ص 12.

أولاً: الوعي المبكر بثابتين من ثوابت الإسلام، هي التسامح الديني و نزوعهٌ المعرفي.

أ- التسامح الديني في الأندلس.

وتمثل في عناية الإسلام بالأفراد والجماعات التي تعيش في كنف دولته من أهل الذمة النصارى واليهود، حيث رعى مصالحهم وحفظ أمنهم وفق العهد الذي منحهم إياه؛ والذي بمقتضاهٌ يُصبحون مُواطنين في دولة الإسلام لهم كل الحقوق من ممارسة طقوس ديانتهم، وأمنهم على أموالهم وحفظ دمائهم، وليس لنا الإفاضة في حقوق الذميين والمسأنين في الإسلام لأنه له مجاله الأخر، ولكن نشير وبشكل أكيد أن المسلمين بعد فتحهم جزيرة الإبيرية تركوا للنصارى واليهود من أهل الكتاب ممن لم يعتنقوا الأسلام حرية ممارسة طقوس أديانهم في الكنائس والبييع، وبقى العهد نافذاً ومعمولاً به طوال عصور الحكم الإسلامي لجزيرة الأندلس، ولنا في عهد الذمة[1] الذي أقرهٌ عبدالعزيز بن موسى بن نصير (ت 97هـ /)[2] للنصارى واليهود في الأندلس، خير مثال على ذلك، في وثيقة العهد الذي جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش، أنه نزل على الصلح، وأنَ لهٌ عهد اللهِ وذمتهِ وذِمة نبيهِ " صلى الله علية وآله وسلم"، ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه، وأنهم لايقتلون ولا يُسبَون، ولا يُفرَق بينَهم وبين أولادهم ولا نسِائهم ولا يكرهون عن دينهم ولا تُحرَق كنائسَهم ولا ينزع عن ملكه ونصحَ وأدى الذي إشترطنا عليهِ))[3].

وقال شاخت: ((فإلى جانب إسلام الفاتحين، كان هناك تسامح ديني مع النصارى؛ حيث أصبح لهم أعيادهم الدينية والثقافية وممارسة طقوسهم الخاصة))[4].

قال رينو: ((لقد أظهر الفاتحون المسلمون تسامحاً وإحتراماً منقطع النظير نحو سكان البلاد المفتوحة، وتقاليدهم و ديانتهم))[5].

وكان لروح التسامح الديني في دولة الأسلام في الأندلس الذي شمل جميع رعاياه في الأندلس له معطياته وأثاره في المجال الثقافي، حيث أتيح للذمين من النصارى واليهود أن ينهلوا ويتعلموا من علوم المسلمين في شتى المجالات العلمية ومنها الطبية.

---

(1)عقد الذمة: هو عهد يمنحه المسلمون لغير المسلمين، وبه يكتسبون حق المواطنة في دولة الإسلام في كل أرض متحه المسلمون، ومن بنوده ممارسة طقوسهم في كنائس النصارى وبييع اليهود، وعلى المسلمين الوفاء بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وأله وسلم وبالمقابل على الدولة المسلمة مرعات مصالحهم والمحافضة على دمائهم والمعاقبة على على من يعتدي عليهم، وهذا معلوم ومفصل في جميع كتب الفقة الإسلامي.

أنظر: الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص 109.

(2)الحميدي، جذوة المقتبس، ص 257، ورقم ترجمته (651)؛ الضبي، بغية الملتمس، ج2 ص 502-503، ورقم ترجمته (1101).؛ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ص 334.؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، م2 ص ص 32-24.

(3)نص عهد الذمة والامان عند الحميري، الروض المعطار، ص 131ص132.؛ مؤنس، حسين، موسوعة تأريخ الأندلس (فكر و تأريخ وحضارة وتراث)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1416هـ-1996م، ج1، ص ص 185-186.؛ يحيى، إفتراءات المستشرقين، ص 590ص591.

(4)شاخت، تراث الإسلام، ج1 ص 108.

(5)رينو، جوزيف، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرن الثالث والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب إسماعيل العربي، بيروت، 1984م، ص40

ولعلَ حركة نقل العلم العربي إلى العالم النصراني، كانت في الأندلس أعمق تغلغلاً وأشد قوة وأطول عهداً من أي مكتن أخر، للتسامح العظيم الذي تحلى بهِ خلفاء وملوك الأندلس والذي بسط ظلهُ على جميع الشعوب والرعايا في الأندلس وسرى ذلك على النصارى الذين أقبلوا من أبعد الأقطار لتلقي العلوم في حواضر الأندلس المزدهرة [1]، وأن الإنتماء إلى وطن بعينهِ دون غيرهِ من الأوطان يجعل إحساس المسلم الأندلسي تجاه مواطنيهِ النصارى لايختلف كثيراً عن إحساسهِ تجاه مواطنيهِ المسلمين الأندلسيين، الذي أعان على تكريس هذا الإحساس سياسة التسامح الذي أكدهُ المؤرخين الفرنج المحدثين في هذهِ الحقب[2] ذلك ان اليهود والنصارى في الاندلس، يحيون حياة طيبة، ويعملون جنباً إلى جنب مع المسلمين، ولم تكن هناك أية حواجز بينهم بسبب الدين رغم سيطرة الدولة الإسلامية فيها، فإن المجرى العام للحضارة الإسلامية كانت تصب فيهِ كل قوى الإبداع البشري للرقي الحضاري بغض النظر إلى الجنس أو الدين او اللون[3]، ذلك أن من خصائص الحضارة الإسلامية خاصية التسامح الديني، الذي لم تعرفه أية حضارة سابقة قامت على الدين، وهو التسامح الذي عبّر عن سمو هذهِ الحضارة[4]، وشهد لروح التسامح الديني الإسلامي من الغربين كجولد تسهير فيقول: (أبقوا في معاملاتهم المدنية والإقتصادية لأهل الذمة على مبدأ التسامح والرعاية والتساهل)[5]، ويكفي شاهدة أن يقول بارتولد: ((إنّ النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين))[6].لأن التسامح الديني من ثوابت الإسلام الحنيف في حضارتنا العربية الإسلامية وعلى مر تأريخها المشرق؛ فماذا كان فعل النصارى في إسبانيا بعد سقطت أخر معاقل المسلمين في غرناطة، رغم إتفاق الطرفين بإحترام الأخر وترك حرية ممارسة المسلمين لدينهم بعد الجلاء من الأندلس نهائياً، والموثق عندهم، حيث لم يسلم حتى النصرى المستعربون الذين ضلوا على نصرانيتهم واليهود من الملاحقة و الإبادة الجماعية فكيف بالعرب المسلمين في أعظم تطهير عرقي بحق البشرية بعد أن أفِول نجم الحضارة الإسلامية فيها، فيما سمي بحروب الإسترداد (Reconquista†la)، ويبين لنا غوستاف لون وبصريح العبارة جرائم القتل الجماعي للمسلمين من أصل أسباني أي "المستعربين"من قبل محاكم التفتيش والتي تعمل بأمر بابا الكنيسة بعد سيطرتهم على الأندلس، فيقول:

((أمر كردينال طليطلي يعرف بالتقي، الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش والتي شكلت بأمر بابا الكنيسة النصرانية؛ أمر بقطع رقاب جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءاً وشيوخاً وولداناً.. وكذلك أشار بضرب رقاب من بقى على دينة " المستعربون " جميعهم، لأنه من المستحيل معرفة من تنصر من العرب،إذن أمر بقتل العرب بحد السيف!))[7]، وبلغ حقدهم

---

(1)البدري، الطب عند العرب، ص ص 95-96.
(2)كُحيلة، عُبادة عبدالرحمن، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية وألإجتماعية، 1995م، ص 39.
(3)أبو ليلة، الجذور التأريخية والحضارية بين الإسلام والغرب، ص 95.
(4)الدفاع، لمحات من تأريخ الحضارة الإسلامية، ص 145.
5 تسهير، كولد، أجناس العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة علي حسن عبد القادر وأخرون، القاهرة، 1946م، ص 38.
(6)بارتولد، ق، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حمزة طاهر، القاهرة، 1942م، ص 65.
(7)لوبون، حضارة العرب، 271.

الدفين على الإسلام والعرب، بأن لم يكتفوا بإضطهاد المسلمين والمستعربين من رعايا الأندلس، بل تجرأوا على محو ذكرهم الحضاري من التأريخ وإلى الأبد بحرق كتبهم، يقول لوبون:

((حتى أن أحد الأساقفة أمرَ بإحراق ما قدر على جمعه من مخطوطات أعداء دينهِ من العرب والمسلمين " ثمانين ألف مخطوط " لمحو ذكراهم من صفحات التأريخ، وما درى أنَّ ما تركهُ العرب من الآثار التي تملأ بلاد إسبانيا خلا مؤلفاتهم يكفي لتخليد إسمهم إلى الأبد))[1]، وتقدر عدد المخطوطات المحترقة في ساحة الرملة في غرناطة بأكثر من مليون مخطوط وكذلك الحريق الذي أصاب خزانة دير أسكوريال بمدريد، ولا تزال في إسبانيا من تراث علمي أندلسي في الأديرة وفي الجدران أخفاها المسلمين خوفاً من محاكم التفتيش[2]، وهي خسارة كبيرة للتراث العلمي الإنساني.

ب- النزوع المعرفي لدى المسلمين.

و نعني به النصوص المرّجعية الأسلامية الأصيلة (قرأناً وسنة) في الحضْ على وجوب طلب العلم وإلتماس الحكمة التي هي ضالة المؤمن، منها قوله تعالى: چ ئۇ ئۇ ئې ئې ئىئد ى ى ي ي چ[3]، والمتمثلة أيضا في وصايا نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة و السلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة)[4]، وقد أشرنا إليه لنبين بأن الله سبحانه وتعالى قد قيّضَ لجزيرة الأندلس في فترة مبكرة من تأريخها رجالاً كانوا يَعَونَ كِنه النزوع المعرفي الإسلامي وقدّرُوهُ حَقَ مقدرتهِ وكما عملوا على تطبيقه في شتى السُبل منهم الخليفتين عبدالرحمن الناصر لدين الله (3.. – 35.هـ / 912-961م) وإبنه من بعده الخليفة الحكم المستنصربالله (35. – 366هـ /961-976م)، اللذان رغم مشاغل الحكم والسياسة في الأندلس، حيث طبقا هذا المبدأ الإسلامي النبيل بحذافيرهُ، كما مرنا بنا في الفصول السابقة من الأطروحة، في تهيئة أسباب الإرتقاء العلمي والحضاري للأندلس جعلا من قرطبة مركزاً حضاريا يشع بنور التحضر والعلم في ظلام أوربا القرون الوسطى.

ثانياً: غناء معارف المسلمين.

نعني به، أن العرب المسلمين بعد فتحهم لجزيرة الأندلس، وإنتشار الإسلام فيها بعد النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، بلغ شآواً رفيعاً من النضج و الأستِعاب تمثل فيها النقل من اللغات الأخرى اليونانية و السريانية والفارسية، فأتيح لها أن تجمع بين تراث لها أصيل و تراث غيرها من الأمم في العلم و الفكر وَسِعَتهُ اللغة العربية ترجمة و شرحاً وتنقيحاً و تهذيباً.

وقد نهضت الأندلس تحت حكم المسلمين بدور بالغ الأهمية على القيام بتلك المعارف خير قيام من جمع وشرح وترجمة؛ ولعلَ مكتبة الحكم المستنصر بالله التي أعتبرت بوفرة ما حوَتْ من الكنوز والذخائرَ العلمية من أغنى مكتبة عرِفتها العصور الوسطى[5]، التي قال عنها ابن حزم الأندلسي: ((وإتصلت ولايته خمسة عشر عاماً، في هدوء وعلو وكان منصفاً بالرعية محباً في العلم، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم؛ وأخبرني تليد الفتى الذي كان يقوم على خزانة العلوم

---

(1)المرجع نفسه، ص 274.
(2)العامري، بصمات بيت الحكمة، ص 21.
(3)سورة الزمر، الأية (9).
(4)الحديث أخرجه القزويني، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، برقم 229.وغيره.
(5)الوراكلي، ياقوتة الأندلس، ص 14؛الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 19.

في القصر بالأندلس؛ أنَ عدد الفهارس التي كانت تسمية الكتب، أربع وأَربعون فهرسة وفي كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين.))[1]، وينقل لنا ابن الأبار في سياق بليغ ميله للعلم والكتب وإثار ذلك على شهوات الدنيا وملذات الملك والرياسة بقولهِ: ((كان حسن السيرة فاضلاً عادلاً، مشغوفاً بالعلوم ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في إقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها، أفاء على العلم، ونوه بأهلهِ، ورغّبَ الناس في طلبه، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه))[2]، وقال عنه لسان الدين ابن الخطيب: ((.. كان عالي الهمة فقيهاً بالمذهب، عالماً بالأنساب حافضاً للتاريخ، جمّاعاً للكتب، محباً في العلم والعلماء ولم يكن في بني أمية أعظم همة، ولا أجلَّ رتبة في العلم وغوامض الفنون منه.))[3].

(1)جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ب/ت، ص 92
(2)الحلة السيّراء، ج1 ص 210.
(3)الإحاطة، ج1 ص 268.

ب- عوامل مردها إلى النصارى وتتمثل

1- **الوعي المبكر بأهمية التقدم الحضاري الأندلسي.**

بتنوّع معارف الإسلامية وثرائها وجدارتها بالنقل والمحاكاة.

ونلمس هذا الوعي لدى طوائف النصارى سواء ممن هم أقاموا في ظل الدولة الأندلسية، أو ممن هم خارج حدود الدولة، ولنا في هذا فئتين ممن كانوا لهم أثر ملموس في الخروج بهذا الوعي من دائرة الإعجاب ولتقدير في مجالها النظري، إلى مجالها العملي التطبيقي في إنجاز المحاكاة والترجمات لها وهي:

2- **ملوك النصارى وأمرائهم.**

حيث كان التعلق بالتراث الثقافي الحضاري العربي قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً، والذي بدوره أنعكس على بلاطهم من أعَراف وأسَاليب عَربية من أثر تشبعها بذلك التُّراثْ وَتشّرِبَها إياهُ، وهو ما لمسناه في بلاط النورماندي روجر الثاني في بالرمو، الذي قرّب العرب إلى جانب النصارى، وكان متأثراً بالثقافة العربية وملماً بها، حيث كان بلاطه صورة طبق الأصل بهيئات القصور الإسلامية العربية من جميع الوجوه، وكان يتكلم ويكتب بالعربية، ويحتفظ بالحريم على الطريقة الإسلامية، ويلبس الملابس الشرقية العربية، ولا عجب إن كان على الثوب الذي دفن فيه نقوش عربية[1]، وفي ظل السيادة العربية الإسلامية للأندلس تمت ترجمة كثير من المخطوطات إلى العربية[2].

3- **العلماء ورجال الدين النصارى.**

الحياة العلمية ونمثل لأولئك بالمستعرب (الأسقف الربيع بن زيد)، الذي كان قاضي النصارى في قرطبة ومترجماً في بلاط الخليفة الحكم الناصر لدين الله، ومنهم ما كان يعيش في الأندلس بعد أن أَفلَ نجمُ الحُكم العَربي الإسلامي في إسبانيا، ومنهم القس دون رايمندو (1125-1152م)، الذي كان على إطلاع واسع على العلوم والمعارف العربية في الأندلس، مما حدا به أن يجمع طائفة من العلماء من الأديان الثلاث (المسلمين واليهود والنصارى) بإشرافه في إطار ما أصطلح على تسميته بمدرسة المترجمين في طليطلة لنقل التراث العربي الإسلامي إلى اللاتينية، في عهد ملك قشتالة الفونسوا العاشر الملقب بالحكيم.

4- **الهجمة الصليبية على الإسلام لإجتثاثه وتحصين النصرانية**

وهو عامل أخر كان الإقتناع به يشتد ويقوى عند رجال الدين النصارى، وبقدر ما كانت تقوى وتشتد الحروب التي تسميها المدونات التأريخية الإسبانية Reconquista†la أي بـ (حروب الإسترداد)، والتي حقيقة أمرها إلا سلسلة من الهجمات الصليبية المتوالية كان القصد منها إجتثاث الوجود العربي الإسلامي من جزيرة الأندلس، والذي ان يستدعي الإطلاع عى كل ما له علاقة بالعرب المسلمين في الأندلسومعارفه وعلومه من جهة وما نقل إلى لغته العربية من العلوم القديمة مهذباً ومشروحاً، ومن جهة ثانية يتسنى لهم التصدي لعدوهم اللدود ومهاجمتهِ، وهو ما كشف عنهُ أحد رجال الكنيسة المدعو (أَلفارو) القرطبي حيث عابَ على النصارى من

(1)آسين، أثر الإسلام في الكوميديا الألهية، ص231 ؛ الوركلي، ياقوتة الأندلس، ص17؛ أحمد عزيز، تأريخ صقلية الإسلامية، ص ص 102-103.

(2)بيرنيت، تشالرز، حركة الترجمة، ص 1442.

أتباع دينهِ من نصارى الأندلس إهتمامهم بالتراث العربي العلمي والأدبي لإكتساب أسلوبه الجميل وليس للرد على مذاهب أهل الإسلام ونقضها [1]، وهي الغاية القصوى التي كانت تخطط لها الكنيسة النصرانية في إطار المشروع الثقافي الأيدلوجي للهجمة الصليبية الشرسة على الإسلام والمسلمين في الأندلس[2].

ج-عوامل الترجمة التي مردها للمسلمين والنصارى مردها إلى المسلمين والنصارى معاً

وتتمثل أهم تلك العوامل المشتركة بين المسلمين والنصارى بالأتي:

1- **السِفارات الدبلوماسية والعلمية بين البلاطات الإسلامية والنصرانية.**

والسفارات المتبادلة كثيرة، وقد ذكرنا بعضها في المباحث السابقة ونذكر بعضها الأخر، فأقدمها حضاً سفارتان وفدتا على على قرطبة من خارج الأندلس، أحدها كان لها الأثر المباشر في تنشيط حركة الترجمة المبكرة في الأندلس، وثانيهما سجلت بداية التأثير العلمي العربي الإسلامي في الغرب اللاتيني، فأما الأولى فهي السِفارة البيزنطينية إلى بلاط الخليفة عبدالرحمن الناصرلدين الله بقرطبة[3]، وإليها يرجع في إدخال كتابين هامين إلى الأندلس مما إستدعى ترجمتهما، والكتابان هما، كتاب (ديسقوريدس)[4] في الحشائش والنباتات الطبية، والكتاب الثاني كتاب (هروشيش)[5] في تأريخ الروم وأخبار الملوك الأول، والسِفارة الثانية هي السِفارة الجرمانية إلى نفس البلاط، وهي التي حملت بعد عودتها بواكير العلوم العربية إلى الغرب اللاتيني[6].

وكانت تلك السفارات تأخذ شكل بعثات دبلوماسية، أو بعثات علمية؛ حيث كانت الوفود الرسمية تأتي محملة بالهدايا النفيسة لكسب ود ورضا خليفة المسلمين في الأندلس، ولكثرة تلك الوفود والبعثات التي كانت ترد على بلاط الخليفة في قرطبة فقد كلف الناصر لدين الله الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط لإستقبال الوفود الكثيرة والتفاوض معهم[7].

2- **المعرفة باللغات.**

وفي طليعة هذهِ اللغات اللغة العربية، لغة العلم والمعرفة والثقافة والأدب في الأندلس الإسلامية، مما دفع أصحابها من رعايا الأندلس نصارى ويهوداً إلى الإقبال على تعلمها والتمكن منها وإجادتها، أما بالنسبة للنصارى فليس هناك شاهد على حرصهم ودأبهم في ذلك أقوى من صيحة الإحتجاج التي رفعها القسيس الأندلسي (الفارو) عقيرته مستنكراً على أبناء جلدته من نصارى قرطبة في إفراط حبهم للغة العربية والشغف بأدابها وجمع كتبها بقوله:

---

(1)بالنثيا، تأريخ الفكر الأندلسي، ص37.

(2)الوراكلي، ياقوتة الأندلس، ص 18.

(3)ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون ج4 ص 183.

(4)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص494.

(5)م. ن، ص 4940

)6(Juan Vernet,El Islam y Europa-Barclona ,(1984 P.25

(7)See Roger.Collins.Early Medievel, Spain, New studies in madreval History, Macmillan pres 1983.P200.

((ياللحسرة إن الموهبين من شباب النصارى لايعرفون اليوم إلا اللغة العربية آدابها ويؤمنون بها ويقبلون عليها في فنهم، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها.. وياللألم لقد أنسى النصارى لغتهم))[1].

و نستنتج أن بواكير مبادرات وجهود الترجمة في الأندلس قد بدأت في أواسط المائة الثالثة من الهجرة، أي في أيام الأمير محمد (263-228هـ / 842- 876م)، حيث تحرك الناس كما يقول المؤرخ القاضي ابن صاعد الأندلسي: (إلى طلب العلوم)[2]، وقد دعا هذا لتحرك بعظهم للرحلة إلى الشرق بقصد لقاء شيوخ العلم والسماع منهم، وكان من هولاء المعتنون بعلم الحساب والنجوم مثل أبي عبيدة مسلمة بن أحمد البلنسي المعروب بصاحب القبلة، الذي كان عالماً بحركات الكواكب وأحكامها، وكان منهم مهتمون بالفلك والطب من أمثال يحيى بن يحيى المعروف بابن اليتيمة من أهل قرطبة، الذي كان بصيراً بحساب النجوم والطب، متصرفاً في العلوم متقناً بضروب المعارف، وفي هذه الفترة بالذات نجد أن بعض علماء المشرق يفدون على الأندلس كالحراني الذي أشتهر بمجربات حسان في الطب وأشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها [3]، وإذا ذكرنا أن الفترة الزمنية التي تمت فيها رحلة ذينك الأندلسيين إلى لمشرق ووفادة العالم المشرقي المذكور على قرطبة؛ كانت تعرف بإنتشار واسِعاً لكتب العلوم القديمة التي ترجمت هناك قبل ذلكَ بيسير، فإننا لن نستعبد أَن يكون هولاءِ جميعاً قد حملوا معهم فيما حملوا من التواليف والتصانيف من كتب الأوائل المترجمة في الطب خاصة و الفلك والحساب والهندسة عامة، من الشرق، ولعلَهُ يكون مما حملوا من مصنفات الطب والصيدلة كتاب (ديسقوريدس) في الحشائش والنباتات الطبية، ففي حديث بن جلجل القرطبي عنهُ يستفاد منهُ؛ أن وصولهُ إلى الأندلس كان قبل حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله[4]، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

وربما كان أيضاًمما حملوا كتب (أبقراط) و (جالينوس) وهذا يستفاد من كلام القاضي ابن صاعد الأندلسي، عن أحمد بن إياس، الذي كان في أيام الأمير محمد أكثر الناس من قبله يقتصرون على قراءة (الكنانيش المؤلفة في في فروعه فقط دون الكتب المصنفة في أصوله مثل كتب أبقراط وجالينوس)[5]

فإننا نستنتج من تحليل هذه الأخبار على بواكيرإهتمام الأندلسيين بالترجمة للأثار اليونانية متمثلة فيما إستجلبوهُ منها، أو أستجلبَ لهم من قبل الوافدين على الأندلس من قبل المشارقة، وهي المعالم الأولى في طريق الترجمة في الأندلس ذلك أن هذه المترجمات المنجزة إنتهت إلى أيدي الأندلسيين أتاحت لهم الأطلاع على معارف القدماء وعلومهم مما أثار الرغبة لديهم للإستزاة منها، وهو أمر كانت جميع السُبل المؤدية إلى تحقيقهِ؛ تبدأ من منطلق واحد وهوَ الترجمة، فكان عليهم الإشباع لتلك الرغبة بأن يستجلبوا مالم يكن أستجلب بعد من ترجماتها المشرقية أو يشتغلوا بترجمة مالم يكن سبق ترجمته منها أصلا أو يعيدوا ترجمته بما يحقق الفائدة المرجوة في بيئتهم الأندلسية وهو ما سيعمدون إليه بخصوص كتاب (دسقوريدس).

---

(1)بالنثيا، تأريخ الفكر الأندلسي، ص 48.
(2)صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 64.
(3)م. ن، ص، 65 .
(4)ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص494.
(5)صاعد، المصدر السابق، ص 78.

إن الإهتمام المبكر للترجمة لدى الأندلسيين في القرن الثالث الهجري، شمل علم الطب الذي كان عليه المعول فيه بالأندلس يومئذ، حسب قول ابن جلجل القرطبي: (كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الإبريشم)[1]، وسواء ما ذهب إليه محقق كتاب طبقات الأطباء لإبن جلجل الأستاذ فؤاد السيد في مقدمة تحقيقه (من أن هذا الكتاب أي الكناش هو نفسه كتاب الفصول لأبقراط في الطب ترجم إلى اللاتينية بإسم الإبريشم)[2]،، فالأمر الذي لا جدال فيه ولا نقاش هو دلالة الخبر على معرفة الأندلسيين بالتراث اللاتيني موضوعاً كان أو منقولاً في الطب وإهتمامهم بترجمته عصرئذ [3]، وكان أهتمام الأندلسيين بالتراث القديم قد بلغ أوجه في العقودالاولى من القرن الرابع الهجري، في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله، ومن ثم على عهد خلفه الحكم الثاني المستنصربالله[4]، في ترجماتها هناك، وهو ما صوره لنا بالنص القاضي ابن صاعد الأندلسي في قوله:

((ثم لما إنقضى صدر المائة الرابعة، إنتدب الأمير الحكم المستنصربالله بن عبدالرحمن الناصرلدين الله، وذلك في أيام أبيه إلى العناية العلوم وإلى إيثار أهلها، وإستجلابَ من بغداد ومصروغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة و المصنفات الغريبة في العلوم الغريبة والحديثة، وجمع منها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده، ما كان يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في لأزمان الطويلة))[5]، وكان من أثر الأهتمام المتزايد بالتراجم المنجزة التي أستجلبت مصنفاتها إلى قرطبة بعناوين وافرة خاصة في عهد الحكم المستنصربالله الذي جاءَ في وصف الحالة العلمية للأندلس في عهدالمستنصر يقول القاضي صاعد الأندلسي: ((تحرك الناس في زمانه إلى قراءةكتب الأوائل وتعلم مذاهبهم))[6]، من أمثال الطبيب القرطبي سعيد بن عبدالرحمن بن عبد ربه، الذي صور لنا شغف بقراءة هذه الكتب الطبية خاصة منها في شعر لطيف، له بعد أن لم يجبه عمهٌ ابن عبدربه صاحب كتاب (العقد الفريد) إلى دعوته لمؤانسته:

لـــما عـــدمتُ مؤنســـاً وجليســـاً نادمـــت (بقراطـــاً) و (جالينوســـا)

وجعلـــتُ كتبهمـــا شَـــفاء تفـــردي وهمـــا الشـــفاءُ لكـــل جـــرح يُوســـى

ووجـــدتُ علمهمـــا إذا حّصـــلته يـــذكي ويُحـــي للجســـومِ نفوســـاً [7]

وكان من أثر قراءة ودراسة الطبيب سعيد للمترجمات المستجلبة، أن ألف في الطب رجزاً أحسنَ فيهِ وأجاد دلَّ على تمكنه في علم الطب وتحقق من مذاهب القدماء في الطب[8]، وممن إنتفع بهذه الترجمات وأفاد منها الطبيب الأندلسي يحيى بن إسحاق، الذي ألفَ في الطب

(1)ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص 92.
(2)المصدر نفسه، المقدمة ص (ي).
(3)الوراكلي، ياقوتة الأندلس، ص 23.
(4)ابن جلجل، المصدر السابق، ص98.
(5)صاعد، طبقات الأمم، ص 65ص66.0
(6)م. ن، ص 66.
(7)صاعد، المصدر السابق، ص 79.؛ابن جلجل القرطبي، المصدر السابق، ص 105.
(8)ابن صاعد، المصدر السابق، ص ص 79 - 80.

كناشاً في الطب من خمسة أسفار على مذهب الروم سمي بالإبريشم، ولم يقف أثر المترجمات على الحياة العلمية في قرطبة عند هذا الحد بل تجاوزه إلى الرغبة الفعلية في الترجمة، وهو ما حذا بالخليفة عبدالرحمن الناصرلدين الله أن يبعث برجل يتكلم بالإغريقي واللاتيني ليعلم له عبيداً المترجمين[1]، وهذا من باب الإستذكار من أن عدد العارفين بذينيك اللغتين، ومما لاشك فيهِ بأَنَ عدداً من أهل قرطبة يومئذ كانوا فيما يبدو يعرفون اللغتين أو أحدهما على الأقل ونمثل لهم من المسلمين بأبي عبدالله الصقلي الذي كان يتكلم اليونانية، ومن النصارى المستعرب الوليد بن خيزران الذي كان يعرف اللاتينية، ومن اليهود الطبيب اليهودي حسداي بن شبروط، وكلا هما كانت له مشاركة في بعض ماترجم من اللغتين في البلاط الأندلسي،، وكان لشيوع أهتمام خلفاء الأندلس العلمي والثقافي بجمع كتب التراث العلمي القديم ونقلهِ إلى العربية، تناهى إلى مسامع ملوك الروم الذين كانوا ممن ينتهزهون الفرص والمناسبات لتقوية علاقات الود والصداقة مع البلاط الأندلسي في قرطبة، وقد عرفنا من هولاء ملكي القسطنطينية (رومانس أرمانوس) و (قسطنطين السادس)، اللذان وجها إلى خليفة الأندلس عبدالرحمن الناصرلدين الله سِفارة لهما محملانِ بالهدايا الثمينة، ومن بينها كتابان أحدهما (كتاب ديسقوريدوس) الذي كان مكتوباً بالإغريق اليوناني القديم[2]، والثاني (كتاب هروشيش) الذي كان مكتوباً باللاتينية، وشفع الملكان الكتابين برسالة إلى خليفة الأندلس عبدالرحمن الناصرلدين الله يقولان فيه: ((أن كتاب "ديسقوريدوس" لا تجنى فائدهِ إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزتَ أيها الملك بفائدة الكتاب، أما كتاب "هروشيش" فعندك في بلدك من اللاتين من يقرأه باللسان اللاتيني، إن كشفتهم عنهُ نقلوهُ لك من اللاتيني إلى اللسان العربي))[3]، أما بخصوص الكتاب الأول (كتاب ديسقوريدوس) فقد ورد إلى الأندلس من قبلٌ وفي ترجمتهُ العربية الشرقية، التي وصفها ابن جلجل القرطبي بقوله: ((أن كتاب "ديسقوريوس"تُرجم بمدينة السلام بغداد في الدولة العباسية في أيام الخليفة جعفر المتوكل، وكان ممن ترجم له " أسطفان باسيل " الترجمان من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وتصفح ذلك "حنين بن إسحاق"المترجم فصصح الترجمة وأجازها، فما علِمَ "إسطفان" من تلك لأسيماء اليونانية في وقتهُ له إسماً في اللسان العربي فَسرهُ بالعربية، ومالم يعلم له إسماً في اللسان العربي تركهُ في الكتاب على إسمهُ اليوناني))[4].

ومن المعلومات التي قدمها لنا ابن جلجل القرطبي عن الكتاب يتضح أنَ الأندلسيين على إنتفاعهم بالترجمة البغدادية التي تمت على يد "أسطفان" ظلت دواعي إعادة ترجمته ملحة عليهم لإستكمال مالم يعلم له المترجم الشرقي من أسماء الأعشاب؛ إسماً عربياً، وربم لتحقيق ما وصفه تسمية الأعشاب والأدوية (لا تكون إلا بالتواطؤ من أهل كا بلد على أعيان الأدوية بما رأوا، وأن يسموا ذلك أما بإشتقاق، وأما بغير ذلك من تواطؤهم على التسمية)[5]، من أجل ذلك إستقدم خليفة الأندلس الناصرلدين الله الراهب "نيقولا" الذي كان يجيد اللسان الإغريقي اليوناني القديم ليتولى

(1)ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، (نقلا عن ابن جلجل، ص 494.)
(2)م. ن، ص 494.
(3)الخطابي، الطب والأطباء، ج1ص 18.؛ فرحات، معجم الحضارة الاندلسية، ص 217
(4)م.ن، ص 493.
(5)ابن جلجل القرطبي، طبقات الاطباء والحكماء، مقدمة المحقق.

تفسير مالم يفسرهُ " أسطفان " في ترجمته لأسماء عقاقير كتاب "ديسقوريدس" [1]، بينما أَكبَّ من المبرزين من أطباء قرطبة وعلمائها في الترجمة وهم: محمد المعروف بالشجار ورجل كان يعرف بالبسباسي و أبو عثمان الحراز الملقب باليابسة و الأطباء محمد بن سعيد وعبدالرحمن بن إسحاق بن هيثم وابو عبدالله الصقلي و حسداي بن شبروط اليهودي[2].

(1)ابن بي أصيبعة، المصدر السابق، ص 493.
(2)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص ص 21-22.

وبذلك عرفت الأندلس لكتاب ديسقوريدس ترجمتين إثنتين:

أولاهما: ترجمة مشرقية من عمل "أسطفان بن باسيل" وقد حُمِلتْ إلى الأندلس من بغداد،كما حدد ذلك المؤرخ الطبيب ابن جلجل القرطبي بقوله:

((فإنتفع الناس بالمعروف منه.. أي كتاب ديسقوريدس بالمشرك والأندلس إلى أيام الناصر عبدالرحمن بن محمد، وهو يومئذ صاحب الأندلس))[1].

وثانيهما: ترجمة أندلسية، وذلك لثلاث أسباب:

1- (أندلسية) المترجمين الذين شاركوا " نيقولا الراهب " في إنجازها، بعد أن كونوا مايشبه الفريق العلمي، الذي كان من أعضائه علماء مثل " نيقولا" الذي كان يعرف اللغتين لإغريقية واللاتينية و "حسداي بن شبروط اليهودي" الذي كان يعرف العربية و اللاتينية، وكما كان من أعضاء اللجنة العلمية أطباء أندلسيون يعرفون بعملهم الدؤوب في البحث والتفتيش عن أسماء العقاقير[2].

2- (أندلسية) أسماء العقاقير التي فسرَبها، هذا الفريق العلمي مقابلها اليوناني في كتاب " ديسقوريدس"، أي الذي نعنيه هنا تواطؤ أهل الأندلس على تسمية تلك العقاقير والأعشاب حسب ما إهتدوا إليه من تسميات.

3- (أندلسية) المكان الذي أنجزت فيه هذه الترجمة وهو قرطبة.

وتتميّز الترجمة الأندلسية عن أختها البغدادية، كونها ترجمة نظرية ميدانية، بقدر ما بذل من الجهد في تفسير أسماء العقاقير من قبل العارفيت باللغات، وبترجمة مالم بترجم منه سابقاً من قبل أطباء الأندلس المهتمين بلموضوع والمساهمين بالترجمة (وتصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس)[3]، وعلى حد تعبير ابن جلجل القرطبي الذي أوضح الثمرة النهائية لترجمة الكتاب المذكور بقوله: ((أن أزال الشك فيها من القلوب وأوجب المعرفة بها والوقوف على أشخاصها وتصحيح النطق أسمائها بلا تصحيف.. إلا القليل منها الذي لابال بهِ ولا خطر منه و ذلك يكون في مثل عشرة أدوية))[4].

وكتاب ديسقوريدس في الحشائش المصور يقع في خمس مقالات رئيسية:

المقالة الأولى: وتشمل على ذكر أدوية عطرية الرائحة وأفاوية وأدهان و صموغ وأشجار

المقالة الثانية: وتشمل على ذكر الحيوانات والحبوب والقطاني والبقول المأكولة والحريفة

المقالة الثالثة: وتشمل على ذكر أصول النباتات وعلى النباتات الشوكية وعلى حشائش زهرية.

المقالة الرابعة: وتشمل على ذكر أدوية أكثرها حسائش باردة وعلى حشائش حارة مسهلة ومقيئة وعلى حشائش نافعة من السموم وهو ختام المقالة [5].

المقالة الخامسة: وتشمل على ذكر العنب وأنواعه وعلى الأدوية المعدنية.

---

(1)ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 493-495 .

(2)فرحات، معجم الحضارة الأندلسية، ص ص 226 - 227.

(3)ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص 493.

(4)م. ن،، ص 493ص494.

(5) الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 21.

أما الكتاب الثاني الذي كان من جملة هدايا مَلَك القسنطينية إلى خليفة الأندلس عبدالرحمن الناصر لدين الله فهو (كتاب التأريخ السبعة في الرد على الوثنين أسمه اللاتيني(Historiorum ibri Septem Adversos Paganos) أو هروشيش في نطق الأندلسين، ومؤلفهٌ (باولوس اورسيوس)، وهو مؤرخ إسباني عاش في القرنين الرابع والخامس الميلادي، والكتاب في تأريخ الروم ضمهٌ صاحبهٌ: (أخبار الدهور وقصص الملوك الأوائل، وفوائده عظيمة)[1]، وقد ترجم أيضاً في أيام الخليفة الحكم المستنصربالله أي قبل (35.هـ)[2]، وإلى جانبهٌ نعرف أسقف خرونة (غوتيمار الثاني)[3]، أملى بتكليف من الحكم الثاني تأريخاً بأخبار ملوك الفرنجة، نقل الى العربية، وإنتهى الكتاب إلى المشرق، وقد أفاد منهٌ المؤرخ المسعودي، الذي أدرج في كتابه (مروج الذهب) نقولاً مقتبسة منه [4].

لقد كان اللقاح العربي الإسلامي الذي قدمه المترجمون بدأً منذ القرن الثالث حتى نهاية القرن الثالث عشر، إخصاباً لثقافة أوربا الضحلة والمتخلفة، بعد أن تسلل العلم العربي الإسلامي إلى أواسط العالم الغربي النصراني[5]، والتي أثرت في التقدم الحضاري الأوربي.

لقد إنجذب المغامرون والدارسون إلى الأندلس بسبب روعة الثقافة الإسلامية وتفوق المسامين في العلوم، ولم تكن الغنيمة الكبرى التي فاز بها النصارى يوم إستعادوا إسبانيا مقصورة على الأقشمة الحريرية والدَمقسي؛ بل حوت على مخطوطات قيّمة وجدوها هنالك أيضاً [6]، وقد شكلت أعمال الترجمة قناة غير مباشرة ولكنها ملموسة جداً، لنقلِ الثقافة الإسلامية من بلاد الأندلس إلى أوربا، وأدت مدراس الترجمة في الأندلس إلى إجتذاب مجموعة من رجال الفكر ذوي الأصول الأوربية المختلفة والمنتخبة للأديان التوحيدية الثلاث إلى شبه الجزيرة الإبيرية[7].

وقد كان للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس أثرها الواضح والجلي في الحياة الأوربية، ذلك أن أوربا لم تعرف من العلم إلا ما حددته الكنيسة لها ومن التفسير السلبي والمحدد إلى الحياة والكون والإنسان.

((وأنَّ الحركة الثقافية التي نراها بين المسلمين الإسبان، سرعان ما إنتشرت خارج المنطقة، وأشرقت كالفجر على نصارى أوربا؛ الذين كانوا شبه نائمين في ظلمات القرون الوسطى))[8].

---

(1) ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص 494.

(2) ينظر بحث المستشرق الإيطالي (Levvi Della vids) بعنوان الترجمة العربية لتأريخ هروشيش (La Traduzzione Aroba Delle storie Di Orosio) المنشور في Miscelliea G. Gall biati III , P.185-253 .

(3)ابن حيان، المقتبس، ج5، ص 5.

(4) المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، بيروت، 1973م، ج2، ص ص 26-37.؛الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 34.

(5)الأبيض، بحوث في تأريخ الحضارة، ص 37.

(6)بيرنيت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى، ص 1439.

(7)غويز، مارغريتا لوبيز، إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوربا، بحث مقدم الى ندوة الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق ص 1578.

(8)كاسترو، أميركو، إسبانيا في تأريخها " النصارى والمسلمين واليهود"، ترجمة علي ابراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص 544.